المحاضرة الرابعة

ثالثا: الزواج وتكوين الاسرة

تنشأ الأسر بخطوة لها كيان تصوري في ذهن الناس يطلق عليها اسم "الزواج" ويعطي المجتمع هذه الخطوة قدرا كبيرا من الأهمية فيتشاور ويرتب ويفاضل ثم يقرر , ويجتمع الأهل والأصدقاء للاحتفال بالمناسبة ويعلن الجميع أن الزواج قد تم , وأن في قدرة العروسين ممارسة حياتهم كوحدة مستقلة باعتراف المجتمع وتبريكاته, ولكي يتم زواج رجل بامرأة فانهما يكتبان عقدا يشهد عليه الشهود يتعهدان فيه ضمنا برعاية بعضهما البعض ويتعهدان برعاية أولادها , ويتم الزواج عن طريق عقد مسجل بين رجل وامرأة تضمنه الحكومة بقوانينها ويضمنه المجتمع بأعرافه وتقاليده , ويضع هذا العقد كلا من الطرفين تحت مسئولية المعيشة المشتركة والعلاقة الدائمة بينهما . وفي جميع أنحاء العالم تحاول المجتمعات بتقاليدها وأعرافها وإحساساتها تدعيم الزواج بكل الطرق المختلفة حتى تنتج عنه أسرة ناجحة, ومن هنا كانت المراحل والخطوات التي تمر بها كل زيجة .

تبدأ العملية بالتعارف والخطبة وفي هذه المرحلة تعتبر الوعود التي يقدمها كل طرف لرفيقه ارتباطات هامة وملزمة لدرجة أنه من الممكن أن يقع الطلاق بعد الزواج لعدم وفاء أحد الطرفين بما وعد به في هذه المرحلة, بعقد الزواج واعلانه بحفل رسمي بعد إعداد بيت الزوجية.

يتزوج الناس لأغراض مختلفة منها الأمان الاقتصادي العاطفي والرغبة في الإنجاب والحاجة إلي الصحبة, كما قد يتزوج الناس في بعض الأحيان لأغراض أخري مثل تحسين المركز الأدبي, أو الحاجة إلي الرعاية الصحية.. الخ. ولقد نظم المجتمع نفسه بطريقة تجعل الزواج أمرا ضروريا وحتميا ويكاد يكون إجباريا احيانا.

رابعا: العلاقة بين الزوجين

من الملاحظ في الوقت الذي ضعفت فيه العلاقات, بين الوالدين وأبنائهما وأصبحت ذات طابع ذاتي وشخصي واضح, ازدادت فيه قوة العلاقة بين الزوجين, فازداد اقترابهما وتركزت علاقتهما وطالت مدة حياتهما التي يقضيانها مع بعضهما. وذلك بالطبع بافتراض سيطرة الزواج الواحدي, واستمرار العلاقة الزوجية مدي الحياة, أما الأسرة التي ينهي فيها الطلاق الحياة الزوجية فهذه لا نعنيها في حديثنا هنا.

هناك ظاهرة جديدة حيث نجد أغلب التشريعات الحديثة في أكثر البلاد الغربية الصناعية تضع قانون الاسرة ما قبل قانون الزواج, ذلك ان الاسرة لديهم لا يشترط تبدأ حتما بالزواج, ولكنه يرجع كذلك إلي أن الزوجين في الأسرة الحديثة قد أصبحا يحتلان أهمية كبري من الناحية البنائية, كما أصبح الزوجان يمثلان البؤرة الأساسية لهذا النمط الجديد الذي عرفناه عن الأسرة الحديثة.

تعاني تلك المجتمعات من استقلالية الابناء في سن مبكرة بسبب التباعد عن الوالدين. وحتى بلوغ أولئك الأولاد السن القانونية أو اكتمال تأهيلهم للحياة العملية فإنهم يتركون بيت الأسرة, ومن ذلك يتضح أن الزوجين ليسا هما البؤرة الأساسية للأسرة فحسب, ولكنهما كذلك الوحدة الوحيدة المستمرة باستمرار الأسرة, منذ عقد الزواج وحتى الموت.

هذه الظاهرة تعطي مثالا حيا لأهمية الزواج وتكوين الاسرة, ولابد ان يأتي اليوم في مقدمة الاهتمام في حياة الأسرة, وفي دراسات الأسرة علي السواء. كما أن النظم والقواعد التي تتجاوز حدود علاقات التعامل الأسري المختارة آخذة في الضعف والتقلص يوما بعد آخر, وهذا ما يوصلنا الى أن مكانة الفرد في مجتمع اليوم لم تعد تتحدد في ضوء انتمائه العائلي بالدرجة الأولي, وإنما هي تتحدد علي أساس إنجازه الفردي الخاص. وهذا هو ما دفع علم الاجتماع المعاصر إلي أن يقابل بين نمطين مختلفين من المجتمعات, نمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء وضعة العائلي (وهو ما يعرف باسم" المكانة الموروثة"). ونمط تتحدد فيه مكانة الفرد في ضوء إنجازه الشخصي(الاقتصادي أساسا) وهو ما يعرف باسم "المكانة المكتسبة".